

الإعلام الجديد والهوية -دراسة نظرية في جدلية العلاقة والتأثير-

أ. باديس لونيس – جامعة باتنة

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مقاربات الحتميات الثلاث: التكنولوجية والاجتماعية والقيمية، وتفسيراتها للعلاقة بين تكنولوجيا الاتصال الحديثة (الإعلام الجديد في هذه الحالة) والهوية. بالإضافة إلى التعرف على أهم تطبيقات الإعلام الجديد المتمثلة في المدونات الإلكترونية وشبكات التواصل الاجتماعي ومواقع نشر الصور والفيديوهات ومواقع الويكي، ومناقشة تأثيراتها الايجابية والسلبية على الهوية وتحليل التوجهات المختلفة في هذا الشأن.

ولقد توصلت الدراسة إلى أن الإعلام الجديد، الذي يشهد قيام مجتمعات افتراضية متعددة ومتنوعة، قد أحدث نقلة نوعية في أساليب حياة الأفراد وطرق تفكيرهم وتواصلهم، وهو ما أثر في تمثلاتهم لذواتهم وهوياتهم، ورغم بعض التأثيرات السلبية إلا أنه يساهم بشكل ايجابي في الإعلاء من أصوات الهويات المحلية.

Abstract:

This study aimed to shed light on approaches of three Determinism: technological, social and values, and their interpretations of the relationship between modern communication technology (new media in this case) and Identity. In addition to identify the most important applications of the new media Like:(blogs, social networking sites, publishing photos, videos and wikis), And discuss the positive and negative impacts on Identity, then analyze the various trends in this regard.

The study found that the new media, which is witnessing a multiple and diverse virtual communities, has made a quantum leap in the lifestyles of individuals and their ways of thinking and communicating, and influenced on their representations of themselves and their identities. Despite the negative effects, but it contributes positively to the preservation of local identities.

مقدمة:

صار من المسلم به أن تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة عموماً والانترنت بشكل خاص قد تخللت مختلف الأنشطة الإنسانية في المجتمعات المعاصرة، وأصبحت جزء لا يتجزأ من يوميات الأفراد، تصاحبهم في كل زمان ومكان؛ تشاركهم ممارساتهم الروتينية وتسجل حضورها في مختلف الفضاءات التي يعاشونها، وتسهم إلى حد كبير في بناء علاقاتهم مع بعضهم البعض واستمرارها. هذا الحضور أنتج عدة إشكالات منها ما ارتبط بالجانب الاقتصادي ومنها ما ارتبط بالجانب الثقافي ومنها ما كانت له علاقة بالجانب النفسي أو الإعلامي أو القانوني أو الأمني إلخ، وقد اجتهد الباحثون والمهتمون بمختلف تخصصاتهم وانتماؤاتهم في دراستها واستقصاء عناصرها، مستنديين في ذلك إلى أطر نظرية ومنهجيات مختلفة.

أما التأثيرات التي تحدثها الأنترنت على مستوى الهوية، فهي من بين أهم المشكلات المتجددة التي تستدعي البحث والتمحيص فيها، خاصة مع ظهور وانتشار ما صار يعرف في الأوساط الأكاديمية بـ **الإعلام الجديد** الذي يقوم على منصات الويب 2.0، أي الجيل الثاني من الأنترنت أين تكون للمستخدمين فرصة أكبر للتفاعل مع المحتوى الإلكتروني، ومساحة أوسع لإنتاجه بجودة لا تقل عن تلك التي تميز المؤسسات الثقافية والإعلامية التقليدية.

إن الإعلام الجديد قد فتح بذلك الباب واسعاً لإعادة النظر في كثير من المفاهيم التقليدية، استناداً إلى سمات البيئة الجديدة التي يوفرها للمستخدمين مع إتاحتها لآليات غير مسبوقة في التواصل وتكوين جماعات افتراضية ترقى إلى أن تصبح "مجتمعات افتراضية" موازية للمجتمعات التقليدية، لها القدرة على إنتاج المعنى وإنتاج خطابات ناقدة، والكشف عن الهامشي والمسكوت عنه؛ والقدرة على التعبير على الاهتمامات الخاصة لأفرادها الذين أصبحوا في ظل

شبكات التواصل الاجتماعي أكثر تحررا من القيود بأبعادها المختلفة، وهو ما يمنح لهم إمكانية إنشاء وتنشئة هويات جديدة افتراضية لها ملامحها وخصائصها وتجلياتها.

هذه الهوية الافتراضية الجديدة وإن كانت تتأسس على هوية أصلية موجودة قبلا في الواقع الحقيقي (على اعتبار أن الأفراد الذي ينتمون إلى مجتمع افتراضي ما، لم يكن ليتسنى لهم فعل ذلك لولا اشتراكهم القبلي في نسق ثقافي واحد أو متشابه) إلا أنها تتفرد بمنح الفرد مجموعة من صفات مرنة غير مسبوقة في واقع افتراضي يركز بدوره على أسس قد تكون شديدة الاختلاف مع الواقع الحقيقي.

من هنا جاءت هذه الدراسة لتحاول الإجابة على التساؤلات الآتية: ما هي العلاقة بين الإعلام الجديد والهوية من خلال الحتميات الثلاث؛ التكنولوجية، الاجتماعية والقيمية؟ وهل يؤثر الإعلام الجديد في الهوية سلبا من خلال إنتاج هويات جديدة؟ أم أنه يساهم في الحفاظ على الهويات المحلية والإعلاء من صوتها؟

أسباب اختيار الموضوع:

إن الأهمية الكبيرة لمسألة الهوية وارتباطها بالتحديات المختلفة التي نعيشها في ظل العولمة وتكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة هي ما دفع الباحث إلى اختيار هذا الموضوع للدراسة، بالإضافة إلى تجدد النقاش ثانيا حول آثار هذه التكنولوجيا عامة والانترنت بشكل خاص على الهويات المحلية وانحصار هذا النقاش في الجانب السلبي فقط، دون أن تأخذ الرؤية الإيجابية حظها في الطرح والجدل.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مقاربات الحتميات الثلاث: التكنولوجية والاجتماعية والقيمية، حول علاقة تكنولوجيا الاتصال الحديثة (الإعلام الجديد في هذه الحالة) بالهوية.

كما تهدف هذه الدراسة التعرف على التأثيرات الايجابية والسلبية للإعلام الجديد على الهوية ومناقشة التوجهات المختلفة في هذا الشأن.

منهج الدراسة:

بما أن هذه الدراسة تنتمي إلى الدراسات النظرية (الأساسية)، فقد استعنت **بالمنهج الوصفي التحليلي** الذي لا يقف عند حدود وصف الظاهرة بل يتعداها إلى إجراء المقارنات اللازمة وربطها بالعوامل المحيطة بها وتحليل عناصرها. حيث قمت بعملية وصف الإعلام الجديد، ثم تحليل العلاقة بينه وبين الهوية من خلال ثلاث مقاربات هي: الاتجاه التكنولوجي والاجتماعي والقيمي. وقمت باستعراض الآراء المختلفة حول التأثيرات السلبية والايجابية للإعلام الجديد على الهوية ومناقشتها.

تحديد المفاهيم:

1- الإعلام الجديد:

من المهم أن نشير إلى أن مصطلح "الإعلام الجديد" لا يعتبر الترجمة الوحيدة للمصطلح الانجليزي (New media)، فهناك من يرى أن الترجمة الصحيحة هي وسائل الاتصال الجديدة، وهناك من يترجمه بالاتصال الجديد، وهناك من يفضل أن يفصل في الأمر باعتماد مصطلح الميديا الجديدة، ولكنني فضلت اعتماده في هذه الدراسة لأنه الأكثر تداولاً في المحيط المهني والأكاديمي على السواء.

ويحيل الإعلام الجديد حسب الباحث التونسي (الصادق الحمامي) إلى ظاهرة متعددة الأبعاد، كما أن استخداماته الاصطلاحية تتسم بالتنوع الشديد. ولعل المعنى الأكثر ارتباطا بالإعلام الجديد يتعلق ببعد الجودة والحدثة (Newness) كمقابل لبعد القدم، وعلى هذا النحو يحيل مصطلح الإعلام الجديد إلى معنى الحركة من إعلام قديم إلى إعلام جديد، ما يجعل مصطلح "الإعلام الجديد" يتصل بمعنى التجاوز والقطيعة بين إعلام الماضي وإعلام المستقبل وفي بعض الأحيان إلى معنى النهاية (فناء الإعلام القديم) والولادة (إعلام جديد)⁽²⁾.

ولكننا نجد في المقابل قاموس ليستر يعرف الإعلام الجديد بأنه مجموعة تكنولوجيات الاتصال التي تولدت من التزاوج بين الكمبيوتر والوسائل التقليدية للإعلام، الطباعة والتصوير الفوتوغرافي والصوت والفيديو⁽³⁾. ويذهب هذا التعريف مذهب الذين يرون في العلاقة بين الإعلام التقليدي والإعلام الجديد علاقة تزاوج واستمرارية وليست علاقة قطيعة وتجاوز.

وتختلف تحديات الإعلام الجديد من رؤية وتجربة إلى رؤية وتجربة أخرى، إلا أننا يمكن أن نشير إلى الأشكال الآتية:⁽⁴⁾

- الإعلام الجديد القائم على شبكة الانترنت وتطبيقاتها.

(2)- الصادق الحمامي، الإعلام الجديد والإعلام الكلاسيكي بين الاتصال والانفصال (التلفزيون العمومي نموذجا)، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، (5/5 / 2012):

- www.arabmediastudies.net

⁽³⁾- رضا عبد الواحد أمين، استخدامات الشباب الجامعي لموقع يوتيوب على شبكة الانترنت، المؤتمر الدولي حول الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، جامعة البحرين، 09-07 افريل 2009، ص 512.

(4)- عباس مصطفى صادق، الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات، ط1، (الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2008م) ص33.

- الإعلام الجديد القائم على الأجهزة المحمولة بما في ذلك أجهزة قراءة الكتب والصحف.

- نوع قائم على منصة الوسائل التقليدية مثل الراديو والتلفزيون التي أضيف إليها ميزات جديدة مثل التفاعلية والرقمية.

- الإعلام الجديد القائم على منصة الكمبيوتر، ويتم تداول هذا النوع بوسائل، إما شبكياً، وبوسائل الحفظ المختلفة، مثل الاسطوانات الضوئية.

2- المجتمعات الافتراضية:

لقد صاغ مصطلح "المجتمع الافتراضي" الباحث الأمريكي هاورد راينغولد، في كتابه حول المجتمع الافتراضي (1993)، الذي أشار فيه أن الملامح الأولى للمجتمعات الافتراضية كانت قد ظهرت في الثمانينات مثل مجتمع نظام (TWICS) الذي تأسس في طوكيو، و(CIX) في لندن، و(CalvaCom) في باريس، و(Usenet) في الولايات المتحدة.⁽⁵⁾

ويعتبر مصطلح المجتمع الافتراضي من المفاهيم الجديدة التي استدعت الاهتمام والكثير من النقاش، بل وجعلت البعض يدعو إلى ظهور علم جديد يختص بدراسة هذه المجتمعات الجديدة وتسميتها بعلم الاجتماع الآلي كما فعل الباحث علي محمد رحومة من خلال مؤلفه الذي يحمل نفس التسمية. أما مثار الجدل فهو التغيير الذي أحدثتها هذه المجتمعات الجديد في مفهوم المجتمع التقليدي الذي يتأسس أساساً حول (الجماعة، التفاعل، الروابط، المكان والزمان).

فهذه المجتمعات الافتراضية التي تتأسس أساساً على فضاء افتراضي هو الانترنت وذلك من خلال عدة تطبيقات وخدمات أبرزها الآن شبكات التواصل

⁽⁵⁾ - علي محمد رحومة، علم الاجتماع الآلي، (سلسلة عالم المعرفة، ع347، 2008)، ص66.

الاجتماعي، قد غيرت من طرق التواصل وبناء العلاقات، وطبيعة المكان، والزمان الذي يخضع إلى ترتيبات الفرد ومزاجيته غالباً.

لذلك يعرفها راينغولد على أنها "تجمعات اجتماعية، تنشأ من الشبكة (Net)، حين يستمر أناس بعدد كاف، في مناقشاتهم علنياً، لوقت كاف من الزمن، بمشاعر إنسانية كافية لتشكيل شبكات العلاقات الشخصية في الفضاء السايبري"⁽⁶⁾. ويتضح من التعرف تركيزه على بعد الزمن الذي يتكفل بتشكيل روابط عاطفية بين الأفراد، إذ لا يمكن للفرد أن ينتمي إلى مجتمع افتراضي إلا من خلال استمراره في علاقته بالأفراد الآخرين.

ولا يبتعد سيرج بروكس عن هذا المفهوم حيث يعرف المجتمع الافتراضي على أنه "مجموعة أفراد يستخدمون منتديات المحادثة، حلقات النقاش، أو مجموعات الحوار...، والذين تنشأ بينهم علاقة انتماء إلى جماعة واحدة ويتقاسمون نفس الأذواق، القيم، الاهتمامات ولهم أهداف مشتركة"⁽⁷⁾. إلا أنه يفصل أكثر فيما يجمع بين هؤلاء الأفراد المكونين لمجتمع افتراضي ما، والذي يشترط عليهم الاشتراك في القيم والاهتمامات والأهداف. والحقيقة أنه بهذا الشكل قد ينفي إمكانية التنوع الثقافي داخل هذه المجتمعات وقد يحيل إلى أن المجتمعات الافتراضية تشجع على جمع واستقطاب المتشابهين أكثر فأكثر.

3- الهوية:

يمكن للفرد أن ينتمي على مدار حياته إلى عدة هويات اجتماعية، انطلاقاً من تغير قناعاته وظروفه، فبإمكانه أن يغير دينه أو جنسيته أو حتى اللغة التي يتكلم بها، أو توجهه السياسي.. لذلك فالفرد لا يكون "هو" دائماً في كل

⁽⁶⁾- المرجع السابق نفسه، ص65.

⁽⁷⁾- نومار مريم نريمان، استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة باتنة، 2012م، ص88.

الحالات والمواقف. من هنا كان لزاما على كل المشتغلين على تعريف الهوية أن يعترفوا بصعوبة إمساك كل الخيوط التي نسج منها هذا المفهوم الذي يرى الكثير من الباحثين أنه "مفهوم قلق من ناحية التناول النظري"⁽⁸⁾.

ولعل أنسب انطلاقة للاقتراب من هذا المفهوم هو ذلك التعريف المشهور الذي قدمه الفارابي حيث يرى أن: " هوية الشيء وعينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد له، كل واحد. وقلنا إنه هو إشارة إلى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد الذي لا يقع فيه اشتراك". وهو ما يؤكد محمد **عابد الجابري** الذي أفاد بأن مفهوم الهوية قد استقر في الاصطلاح الفلسفي العربي القديم ليدل على ما به الشيء هو بوصفه موجودا متفردا متميزا عن غيره. "فالهوية بهذا الاعتبار أخص من الماهية: الهوية تقال على الجزئي والماهية على الكلي. وبعبارة أخرى: ما به الشيء هو هو يسمى ماهية إذا كان كليا كماهية الإنسان، وهوية إذا كان جزئيا كحقيقة زيد".⁽⁹⁾

ومن بين التعريفات التي جاءت متناغمة مع ما سبق الإشارة إليه - من المرونة التي تصبغ مفهوم الهوية - نجد تعريف "**تاجفل**" الذي يرى أن الهوية هي التي تعكس ذلك الجزء من مفهوم الشخص عن ذاته، والذي يتأسس في ضوء معرفته المسبقة بانتمائه لعضوية جماعة (أو جماعات) معينة، وهو ما يفتضي تمسكه بالقيم والأعراف السائدة في إطارها⁽¹⁰⁾. ولا يبتعد **إيمانويل رينو** كثيرا عن التعريف السابق إذ يرى أن الهوية: "ما نوجد عليه على نحو

(8)- سمير دحماني، أثر استخدام شبكة الانترنت على الهوية لدى الشباب في ظل العولمة الإعلامية، مذكرة ماجستير غير منشورة، (جامعة الجزائر:قسم عوم الإعلام والاتصال، 2009/2008م)، ص58.

(9)- علي محمد رحومة، الانترنت والمنظومة التكنو-اجتماعية، (بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية، 2005)، ص304.

(10)- علاء عبد المجيد الشامي، محددات تشكيل الهوية الدينية في المجتمع المصري، مؤتمر "الفضائيات العربية والهوية الوطنية"، جامعة الشارقة، (11-2007، 12م).

فردية وما نريد أن نكون عليه، على معنى ما يميز خصوصيتنا والكيفية التي نتمثل بها هذه الخصوصية معا، وبعبارة أخرى الكيفية التي يتعين بها كل فرد على حدة، والتي يتطابق في ذات الوقت مع معايير عامة وينتسب بها إلى جماعات محددة"⁽¹¹⁾.

يقودنا هذا التعريف للإشارة إلى أن الهوية مستويات؛ فهناك هوية شخصية، وهوية وطنية، وهوية قومية، وهوية دينية، دون أن يقودنا هذا التقسيم إلى الاعتقاد بانفصال هذه المستويات عن بعضها حتما على مستوى الفرد. ولكن قد يكون ذلك على مستوى الجماعة التي قد تصنف على أساس الهوية الدينية، أو على أساس الهوية القومية، أو على أساس الهوية الوطنية، فالمواطنون مثلا في دولة لبنان قد يختلفون في الدين ولكن لا ينزع منهم ذلك الحق في الهوية اللبنانية. وحتما، بقدر ما كانت الجماعة تحمل نفس الهوية على المستويات الثلاث السابقة كلما كان ذلك مساعدا على استقرارها وعدم طرحها لما يسمى بـ "أزمة الهوية".

أولا/ تطبيقات الإعلام الجديد:

1- المدونات الإلكترونية: وهي ترجمة للكلمة الانجليزية (blog) التي نتجت عن إدغام كلمتين هما: (web) و (log). وقد وضع هذا المصطلح الأمريكي "John burger" عام 1997م للإشارة إلى المواقع التي تمكن الأفراد من نشر آرائهم⁽¹²⁾. ومن بين التعريفات الكثيرة المقدمة للمدونات نجد التعريف الآتي: "صفحة على الويب تحتوي على مقالات عامة قصيرة، منظمة وفقا لترتيب زمني، مؤرشفة ومحدثة بانتظام، تحتوي على مجموعة من الآراء والتعليقات

(11)- إيمانويل رينو، "التصورات الأوروبية للهوية"، ضمن كتاب: الهوية، سلسلة مفاهيم عالمية، المركز الثقافي العربي، 2005م، ص143.

(12)- إبراهيم بعزیز، "دور وسائل الاتصال الجديدة في إحداث التغيير السياسي في البلدان العربية"، مجلة المستقبل العربي، العدد 390، (أوت 2011م)، ص175.

الشخصية، تتبع في تأليفها وإنشائها برامج خاصة بها، وتقوم بوصلات لمواقع أخرى⁽¹³⁾. وتتميز المدونة بـ⁽¹⁴⁾:

1- إمكانية استغلال المضامين المتعددة الوسائط ونشرها بشكل آني وسريع على شبكة الانترنت.

2- إمكانية التعليق والتفاعل المباشر من قبل متصفح شبكة الانترنت. وشهد انتشار المدونات منذ نشأتها قفزات هائلة حتى أصبحت ظاهرة عالمية واسعة الانتشار، فبعد أن كانت في حدود 1.2 مليون مدونة في نوفمبر 2000م، صار عددها يفوق 50 مليون مدونة في العالم عام 2006م⁽¹⁵⁾. وبلغت في سبتمبر 2007م 106 ملايين مدونة، ثم 112 مليون في العام الموالي، لتتباطأ سرعة انتشارها عام 2009م أين وصل عددها 112.8 مليون مدونة⁽¹⁶⁾.

2- الشبكات الاجتماعية الإلكترونية: رغم أن أول شبكة اجتماعية كانت قد ظهرت تحت اسم (six degree) منذ عام 1997م. إلا أن هذا النوع من المواقع الإلكترونية لم يلق رواجاً كبيراً إلا منذ حوالي خمس سنوات، مع انطلاق مواقع (freindster) و (my space) و (facebook)، وتقوم هذه المواقع على فكرة بسيطة يطلق عليها "الدرجات الست للانفصال" أي

13- عصام منصور، "المدونات الإلكترونية مصدر جديد للمعلومات"، مجلة دراسات المعلومات، ع05، (ماي 2009م)، ص96.

14- جمال الزرن، صحافة المواطن: المتلقي عندما يصبح مرسلًا، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، (5/5/2012):

- www.arabmediastudies.net

15- أمينة نبیح، "المدونات الإلكترونية العربية المكتوبة بين التعبير الحر والصحافة البديلة"، مجلة إذاعة وتلفزيون الخليج، العدد 85، ماي 2011م، ص53.

16- إبراهيم بعزیز، مرجع سابق، ص177.

الافتراض أن أي شخص في العالم تفصلني عنه ست درجات (أو أشخاص) وأستطيع الوصول إليه عن طريق هؤلاء الأشخاص⁽¹⁷⁾.

وتكشف الإحصاءات الأخيرة التي نشرت في جانفي 2014 عن الأرقام الآتية:⁽¹⁸⁾

- بلغ عدد مستخدمي الفايسبوك 1.184 مليار مستخدم (بدأ الموقع في عام 2004 كشبكة لبعض الجامعات الأمريكية حينها ثم فتح الموقع مجال انضمام كافة المستخدمين).

- بلغ عدد مستخدمي موقع قوقل بلاس 300 مليون مستخدم (بدأ الموقع في عام 2011).

- بلغ عدد مستخدمي موقع لنكدان 259 مليون مستخدم (بدأ الموقع في عام 2003).

- بلغ عدد مستخدمي موقع تويتر 232 مليون مستخدم (بدأ الموقع في عام 2006)

3- مواقع بث الصور وتسجيلات الفيديو: ويعتبر اليوتيوب أكبر المواقع المختصة في بث تسجيلات الفيديو وأشهرها على الإطلاق، كان قد بدأ بصعوبة نتيجة تكاليف البرمجة والاستضافة، وأصبح اليوم موقعاً لا يمكنك السيطرة عليه ومتابعة كل ما ينشر فيه، أسسه موظفين سابقين في (paybal) بعد رغبتها بمشاركة مقطع فيديو صوروه في حفلة. أطلق الموقع عام 2005

(17)- رشا عبد الله، "مواقع الشبكات الاجتماعية الالكترونية بين الخصوصية والحرية"، ضمن كتاب الثقافة العربية في ظل وسائط الاتصال الحديثة، تأليف مجموعة من الباحثين، كتاب العربي، ع81، (يوليو 2010م)، ص123.

(18)- عماد بن يحي، احصائيات عن الشبكات الاجتماعية والإنترنت في 2014، (2014/8/28)، متاح على الرابط:

[http://www.tech-wd.com/wd/2014/01/14/احصائيات-الشبكات-الاجتماعية-](http://www.tech-wd.com/wd/2014/01/14/احصائيات-الشبكات-الاجتماعية-والانتر/)

والانتر/

و في أقل من عامين اشترته غوغل بمبلغ 1.65 مليار دولار وهو مبلغ أكثر من رائع لجهد استمر عامين فقط.

مع قدرتك على تحميل عدد لا نهائي من مقاطع الفيديو القصيرة والتي يتم تحميلها بزمن سريع، أصبح يوتيوب أداة الفيديو الأسرع تأثيراً ونقلاً للأحداث للملايين عبر العالم⁽¹⁹⁾. وتشير بعض المصادر إلى أن هناك 100 مليون فيديو تتم مشاهدتها يوميا عبر اليوتيوب، كما يتم منه إنزال 13 ساعة من التسجيلات كل دقيقة. وفي سنة 2010م فاق عدد التسجيلات المشاهدة مليارا تسجيل، وتم بث 24 ساعة تسجيل كل دقيقة⁽²⁰⁾.

أما فيما يخص مواقع نشر الصور فلعل أشهرها موقع "فليكر" (Flicker) الذي يعتبر نموذجا لأحد أهم تطبيقات صحافة المواطن في بعدها المتمثل في توزيع الصور، وقد أسهم في مناسبات مختلفة في أن يكون بديلا حيا لوكالات الأنباء، مثلما حدث أيام تفجيرات قطارات الأنفاق في لندن وفي أحداث "تسونامي". تم تطوير هذا الموقع في سنة 2000م بواسطة شركة "لودي كورب" (Ludicorp) في كندا، والتي اشترتها فيما بعد شركة "ياهو" مع موقع فليكر⁽²¹⁾.

4- مواقع الويكي: وتعني كلمة ويكي "السريع" في لغة سكان هاواي، ومبدأ الويكي هو أن أيًا كان يمكنه أن يخلق صفحة على الموقع، وان يعدل صفحة موجودة، وان يغير تنظيم الموقع مثلا عبر خلق وصلات مع مواقع

¹⁹ - محمد حبش، عشرة رواد أعمال غيروا الانترنت، (2014/8/28) متاح على الموقع: <http://www.tech-wd.com/wd/2011/11/07/ten-entrepreneurs-changed-the-internet>

(20) - إبراهيم بعزيز، مرجع سابق، ص 177.
(21) - عباس مصطفى صادق، "الشبكات الاجتماعية... هل هي بديل للتواصل التقليدي؟"، مجلة إذاعة وتلفزيون الخليج، ع 85، (ماي 2011م)، ص 52.

أخرى. فالمؤلفون الذين يتم تسجيلهم على الموقع، حتى تحت أسماء مستعارة، يمكنهم أن يصنعوا صفحاتهم الخاصة التي تحصي أعمالهم وعلامات التقدير التي حصلوا عليها من أقرانهم؛ ويمكن أن تصبح هذه الصفحة أيضاً وسيلةً للتراسل بالنسبة إليهم. كما يمكنهم أن يتابعوا التعديلات اللاحقة بالمقالات التي تهمهم عبر إنشاء "قائمة المراقبة أو المتابعة"⁽²²⁾.

وأشهر هذه المواقع موقع "ويكيبيديا" الموسوعة الحرة التي احتلت في العام 2007 المرتبة السابعة عشرة بين المواقع التي يتم الدخول عليها على الانترنت، بالإضافة إلى موقع ويكيليكس الذي يدار مركزياً، والذي أحدث ضجة عالمية بتسريبه لآلاف من الوثائق السرية التي فضحت الكثير من حكومات العالم.

4- نموذج "أوه ماي نيوز": وهو موقع انطلق من كوريا الجنوبية، ونقل التدوين إلى مستوى أقرب ما يكون من الصحافة التقليدية إذ أصبح له مراسلون (60000 مرسل مع أواخر 2007) ومحررون يفرضون معايير لضبط الجودة تجعل من الإنتاج المعروض أكثر مصداقية. ولكنها لا تزال مبادرة شعبية، فقد جاء في تعليق لـ (جون ك. مين) مسؤول الاتصالات وعلاقات العمل الدولية في الموقع: "على عكس ما كان يظن، ليست الانترنت وسيلة أخرى لنقل الأخبار فقط، بل هي فضاء يمكن للجميع أن يستخدمه. وذلك يعني أن الصحافة ستكف عن كونها محاضرة يلقيها عدد قليل من الأشخاص "الخاصين"، وستتحول إلى عملية حوارية"⁽²³⁾. والحقيقة أن هناك

(22)-مانويل اونيل،"ويكيبيديا او نهاية زمن الخبرة؟"، النسخة العربية من مجلة (Le monde diplomatique)، (أفريل 2009).

(23)- فيليب سيب، تأثير الجزيرة (كيف يعيد الإعلام العالمي الجديد تشكيل السياسة الدولية)، ط1، ترجمة عزالدين عبد المولى،(بيروت:الدار العربية للعلوم ناشرون،الدوحة:مركز الجزيرة للدراسات، 2011م)، ص72.

العديدة من المواقع التي تحذو حذو هذا النموذج الذي يقوم على ما يرسله المواطنون البسطاء مستفيدا في نفس الوقت من الصحافة التقليدية في الجانب التنظيمي الذي يحقق مصداقية أكثر مثل موقع (Blognewe.fr) وهو النسخة الفرنسية لموقع (Ohmynews)، وموقع (New Assignment) الذي يقوم بتسييره الناشط والأستاذ بجامعة نيويورك (Jay Rosen)، وموقع (AgoraVox) الفرنسي الذي يعتمد على مقالات قراء متطوعين...

ثانيا/ الإعلام الجديد والهوية من خلال الحتميات الثلاث؛ التكنولوجية، الاجتماعية والقيمية:

تتنوع الأطر النظرية التي يمكن من خلالها الاقتراب من موضوع علاقة الإعلام الجديد (كتجلي من تجليات تكنولوجيا الاتصال الحديثة) والهوية (كمحدد محوري للمنظومة الثقافية لأي مجتمع)، أما في هذه الدراسة فسننظر إلى ثلاث حتميات: الحتمية التكنولوجية، الحتمية الاجتماعية والحتمية القيمية.

1- الحتمية التكنولوجية:

يرى مارشال ماكلوهان أن طبيعة وسائل الاتصال التي تسود في فترة من الفترات هي التي تكون المجتمعات أكثر مما يكونها مضمون الرسائل الاتصالية، ويعتقد ماكلوهان فيما يسميه الحتمية التكنولوجية (Technologica IDeterminism) شأن المخترعات التكنولوجية المهمة هي التي تؤثر على تكوين المجتمعات. وأن التحول الأساسي في الاتصال التكنولوجي يجعل التحولات الكبرى تبدأ لدى الشعوب، ليس فقط في التنظيم الاجتماعي، وإنما في الحواس الإنسانية أيضا. وبدون فهم الأسلوب الذي تعمل بمقتضاه وسائل الإعلام، لن نستطيع فهم التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تطرأ على المجتمعات، فأى وسيلة جديدة هي امتداد للإنسان، تؤثر على طريقة تفكيره

وسلوكة، فكاميرا التلفزيون تمد أعيننا، والميكروفون يمد أسمعنا، والآلات الحاسبة توفر الجهد العقلي وتؤدي إلى امتداد الوعي⁽²⁴⁾.

ولعل مقولة **ماكluهان** الأشهر "القرية العالمية" تختزل وتختصر رؤيته فيما يخص دور تكنولوجيا الاتصال في التقريب بين الهويات المختلفة والجمع بينها حد التماهي تحت بيئة افتراضية واحدة تشبه القرية. ولكن ملاحظة موضوعية متأنية تفند هذا الطرح فالعالم لا ينمو نموا يفرز التلاحم والالتئام. والشواهد على هذا الإقرار واضحة من اتساع النزاعات والحروب والعنف والإرهاب ومعاداة هويات عديدة كمعاداة الحضارة الإسلامية والغرب وأمريكا وغيرها من أشكال المعاداة ورفض الآخر.

وقريبا من فكر ماكluهان، انشغل المحلل النفسي فيليكس غاتاري طوال حياته بعلاقة التكنولوجيا في إنتاج الذاتية، وكان يعتقد أن الأدوات التكنولوجية للإعلام والاتصال، بدءا بالمعلوماتية و"الروبوتيك" مرورا بوسائل الإعلام، تتدخل في "قلب ذاتية الإنسان لا على مستوى ذاكرته وذكائه فقط، بل على مستوى شعوره ومؤثراته ولا وعيه أيضا⁽²⁵⁾. وقد راهن الباحث بيار ليفي على بروز أشكال جديدة للكتابة تتطلبها "المرونة الرقمية" ووضع آماله في ميلاد "ذكاء جماعي" بفضل الطرق السيارة للمعلومات لعصر ما بعد وسائل الإعلام⁽²⁶⁾ ويتضح من هذا الاعتقاد إعطاء دور المتغير المستقل لتكنولوجيا الاتصال الحديثة (الإعلام الجديد كأحد تجلياتها)، بينما تتخذ الهوية موقع المتغير التابع. فالإعلام الجديد حسب هذه الحتمية يمكن أن تحدث تغييرات

(24)- عماد حسن مكاي، ليلي حسين السيد، **الاتصال ونظرياته المعاصرة**، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2003) ص275.

²⁵- أرمان وميشال ماتلار، **تاريخ نظريات الاتصال**، ترجمة نصرالدين لعياضي والصادق رابح، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005) ص196.

²⁶- أرمان وميشال ماتلار، **مرجع سابق**، ص194.

جذرية على هوية الفرد وتنشئة هويات جديدة تبعا للآليات الجديدة التي يستخدمها ويتفاعل معها ومن خلالها.

2- الحتمية الاجتماعية:

في مقابل توجه الحتمية التكنولوجية، نجد توجهها آخر يقول بالحتمية الاجتماعية على أساس أن العناصر والقوى الاجتماعية بأنواعها هي التي تمتلك زمام تطور التكنولوجيا بشكل أو بآخر. وتؤثر في تطويرها وتوجيهها. ومن أهم هذه العناصر؛ الثقافة بعمومها.

ويعتقد جيمسون بعدم جوهرية وأساسية التكنولوجيا في تطور الثقافة، إذ يعرب عن عدم استعداده للاعتراف بدور التقنيات، وخاصة تلك المعلوماتية، في عمليات التغيير الاجتماعي والثقافي، ويرى أن تحليل تأثيرات العامل التكنولوجي على الثقافة يولد بشكل حتمي تحديدية تقنية. ويرى أن النظريات التي فسرت الثورة الصناعية كنتيجة لإدخال الآلة البخارية، والتي تقدم في هذه المرحلة، ذات التفسيرات حول روائز التقنيات المعلوماتية الجديدة على المجتمع (ماكلوهان)، لا تأخذ في الحسبان العوامل الإنسانية للطبقات الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي للإنتاج⁽²⁷⁾. ويمكن التدليل على هذا التوجه أن اختراع الآلة البخارية قد سبقته حقبة تاريخية مهمة مهدت لها وللثورة الصناعية وهي عصر الأنوار.

وتعتبر الماركسية من أهم المدارس التي أعطت لمتغير الثقافة الاهتمام الرئيسي في توجهاتها الفكرية انطلاقا من محوريتها في منظومة أي مجتمع. ويعتبر هربت ماركيز وكتابه (الإنسان ذو البعد الواحد) احد العلامات البارزة لهذا التوجه؛ إذ أشار إلى أن مراحل التقنية، وما قبل التقنية تشترك جميعا في

⁽²⁷⁾- فريال مهنا، علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، (دمشق: دار الفكر، 2002م)، ص544.

مفاهيم أساسية معينة حول الإنسان والطبيعة، والتي تمثل وتعبّر عن استمرارية الحركة والتقليد للنظام الغربي.. وان الخط الفاصل بين المشروع التكنولوجي وما قبل التكنولوجي يكمن في نمط أو طريقة الخضوع لضرورات الحياة وتوفير المعيشة؛ أي كيف ينظم وينتج أساليب جديدة للحرية، أو عدمها (...). فالتقنية في فكر ماركيز منتج اجتماعي ينتج ويتطور بفعل العملية الاجتماعية الجدلية⁽²⁸⁾. وقد ذهب في مقال صدر له عام 1941 بعنوان (بعض الآثار الاجتماعية للتكنولوجيا الحديثة) إلى ان التكنولوجيا المعاصرة تشكل اداة لتنظيم وإدامة (أو تغيير) العلاقات الاجتماعية، ومظهرا من مظاهر انماط السلوك والفكر السائد، ووسيلة للسيطرة والهيمنة. وفي مجال الثقافة، تنتج التكنولوجيا ثقافة شاملة تعودّ الأفراد على الامتثال لأنماط التفكير والسلوك المهيمنين، وبالتالي توفر أدوات قوية للرقابة الاجتماعية والهيمنة²⁹

أما فينبرغ فيرى أن التكنولوجيا ليست حتمية وليست محايدة، ويجادل بان الدقطة تتطلب تغييرا تقنيا راديكاليا، وبدون إعادة تركيب التقنية وبنائها اجتماعيا لا يمكن حصول تغير راديكالي للتقنية، والعكس أيضا صحيح⁽³⁰⁾. ويتساءل الباحث الجزائري الصادق رابح⁽³¹⁾: هل هناك حتمية يمارسها المجتمع في علاقته بالتكنولوجيا؟ هل تم استحداث الانترنت مثلا، اعتمادا على وجود مؤسسات سابقة ومنتظمة ضمن نمط شبكي؟ ويجب عن هذه الأسئلة بالنفي ذلك أن الظواهر حسبها متلازمة ولكنها مستقلة عن بعضها البعض في

⁽²⁸⁾- علي محمد رحومة، الانترنت والمنظومة التكنو-اجتماعية، مرجع سابق، ص84.
⁽²⁹⁾- محمد بن هلال، "الإعلام الجديد ورهان تطوير الممارسة السياسية: تحليل لأهم النظريات والاتجاهات العالمية والعربية"، مجلة المستقبل العربي ع (396)، (فيفري 2012)

ص13

⁽³⁰⁾-فريال مهنا، مرجع سابق، ص87.
⁽³¹⁾- الصادق رابح، فضاءات رقمية (قراءات في المفاهيم والمقاربات والرهانات)، (بيروت: دار النهضة العربية، 2013م) ص43.

نهاية المطاف. مع ذلك، فإن المؤسسات وجدت في التكنولوجيا الاتصالية والإعلامية الحديثة آليات عملية لتطوير وتدعيم أنماطها التنظيمية والأدائية الجديدة، مثلما حصل في القرن التاسع عشر عندما تم اختراع التلغراف. وفي نقده لهذا التوجه يرى لاندو أن إنكار التأثيرات المجتمعية للتكنولوجيا الرقمية تتبع من فعل غير إرادي يتمثل في أن عدم الاعتراف بأن ثقافات التاريخ الإنساني، تتبع من فعل غير إرادي يتمثل في أن عدم الاعتراف بأن اختراع غوتنبرغ أو التلفزيون يمكن أن يرتبط بجوانب أخرى للثقافة يؤدي إلى تحويل التقنية آليا إلى ضرب من الغول الفكري والمحرمات التي لا يمكن الحديث عنها علنا⁽³²⁾. يمكن التعليق على هذا النقد بأنه يصف الماركسيين وتجاهلهم غير المفهوم لدور التقنية على أنه نوع من غض البصر عن حقيقة معروفة لدى الجميع، بهدف نفيها.

3- الحتمية القيمية:

أما عبد الرحمن عزي صاحب نظرية الحتمية القيمية في الإعلام⁽³³⁾ فيرى أن بعض الباحثين بالغوا في القول بأن تكنولوجيا الاتصال الحديثة عموما والإعلام الاجتماعي خصوصا ينشئ فردا ذو وعي عالمي وانتماء إلى المجموعة العالمية على حساب المجموعة المحلية. فالواقع والشواهد التاريخية لا تتسجم مع هذا التحليل ذلك أن هذا الانتماء يكون رمزيا وأن الفرد في نهاية الأمر يلجأ في البحث عن ذاته إلى المجموعة العائلية أو القبلية أو العرقية أو السياسية أو الدينية. وما أدل على ذلك النزعات القومية التي نمت في عهد

⁽³²⁾- فريال مهنا، مرجع سابق ص545.

⁽³³⁾- تنطلق هذه النظرية من افتراض أساس يعتبر فيه الإعلام رسالة وأهم معيار في تقييم الرسالة هو القيمة التي تتبع أساسا من المعتقد، للمزيد ينظر:

- عبد الرحمن عزي، دراسات في نظرية الاتصال؛ نحو فكر إعلامي متميز، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2003)، ص112.

ازدهار الفضائيات والإعلام الدولي. فالإعلام الاجتماعي يوسع من دائرة الوعي بالعالم ويجعل الفرد عولميا دون أن يزيل الانتماء إلى الواقع المحلي⁽³⁴⁾.

هذه الرؤية المتميزة تؤكد لها التجربة التاريخية الاجتماعية التي بينت أنه لا يمكن بناء أي نمط اجتماعي واع ومجتهد بدون نظام رمزي من الاتصال. فالمجتمع يستمر في الوجود ليس فقط بالاتصال، ولكن في الاتصال الدال الحامل للشخصية القيمة ذات الأبعاد الإنسانية والحضارية.

ويرى نصير بوعلي احد أنصار هذه النظرية أن القرية الكونية التي تحدث عنها ماكلوهان هي في نهاية الأمر مصممة على النمط المعماري القيمي الغربي، وفي المقابل هناك قرية المجتمع الإسلامي الذي ينبغي أن تكون وفق النمط المعماري القيمي العربي الإسلامي. فالنمط القيمي الغربي مبني على كل ما هو مادي استهلاكي يزاحم كل ما هو قيمي معنوي في كتلة المجتمع الإسلامي، بل يعمل على اندثاره ومحوه من الوجود⁽³⁵⁾.

ويفترض عزي أن الاتصال المرتبط بالتقنيات الحديثة للاتصال، وخاصة الاتصال المرئي، يكون هادفا ودالا حضاريا إذا مكن الفرد من تحقيق ذاته غير المجدية والمتكاملة في أبعادها المعنوية والجسدية، والمجتمع من تحقيق الأهداف الرسالية والمعيشية المرتبطة بثقافته وبأصوله ومصالحه⁽³⁶⁾. ورغم أن عبد الرحمن عزي يوافق ماكلوهان في أن تكنولوجيا الاتصال قد غيرت بشكل جذري سبل تعاملنا مع بعضنا البعض والطرق التي نكتسب بها تعليمنا

(5)-عبد الرحمن عزي، حفريات في الفكر الإعلامي القيمي، (تونس: الدار المتوسطة للنشر، 2011)، ص184.

⁽³⁵⁾- نصير بوعلي، الإعلام والقيم، (عين مليلة: دار الهدى، 2005)، ص 57.

⁽³⁶⁾- عبد الرحمن عزي، دراسات في نظرية الاتصال؛ نحو فكر إعلامي متميز، مرجع سابق، صص 143-144.

ومعاشنا والأطر التي نحيا في إطارها عامة. غير أنه يرى أن غياب المتغير الذي سماه بالرؤية القيمة التي يمكن أن توجه هذه التكنولوجيا جعل هذه الأخيرة تكتسب حياة خاصة بها بعيدة عن أي إشراف ثقافي ينبثق تلقائياً من البنية القيمة الحضارية، الشيء الذي أنتج ما أسماه عزي بالذهنية التقنية.

إن التنمية الحقيقية حسب عبد الرحمن عزي⁽³⁷⁾ تستدعي دمج التقنية في المنظور الثقافي القيمي للمجتمع، وذلك يتطلب إدخال الثقافة في التقنية وليس تحويل الثقافة إلى تقنيات. وتعطي هذه العملية الأولوية الفائقة للتحويل الثقافي وتضمن الإشراف والتوجيه القيمي للتكنولوجيا. الأمر الذي يتطلب ما أسماه بالكفاءة القيمة التي تعني القدرة على أن يستوعب الفرد ثقافته ونظامه القيمي وتكييف هذه الكفاءة مع الوضعيات أو المحيط الجديد.

ثالثاً/ الإعلام الجديد كمنتج لهويات جديدة:

إن قيام مجتمعات افتراضية على الانترنت من خلال تطبيقات الإعلام الجديد المختلفة بهذه الأعداد المذهلة والمتزايدة ودون قيود، يدعونا إلى التساؤل حول الانعكاسات المحتملة على المشتركين فيها، أو بتعبير أصح "على أفراد هذه المجتمعات". خاصة إذا عرفنا أن كل النشاطات المعروفة في المجتمعات التقليدية، يمكن القيام بها في هذه المجتمعات الافتراضية، بشكل أسرع، وفعالية أكبر. بل إن المسافات المادية أو الجغرافية المعيقة لم يعد لها وجود في هذه المجتمعات، فقد تم استبدالها بما يمكن تسميته بالمسافات الاجتماعية.

كما أن مقولة الفضاء الاجتماعي ذاتها قد تغيرت فلم تعد للفضاء حدود واضحة لكي تحصن وتُصان بمعايير ثقافية تجمع عليها الذوات الفردية، إنها

⁽³⁷⁾ عبد الرحمن عزي، قيم وسلوكيات من وحي أسوار أكاديمية، (الجزائر: دار الورسم، 2014م)، صص-45-47.

محل نزاع وتفاوض بين فاعلين اجتماعيين، لكل منهم رؤيته ومطالبه التي يتحرك من أجلها⁽³⁸⁾. كما أن التواصل التزامني أو غير التزامني عن بعد يمنح الانترنتين إمكانية اختيار لحظة التواصل وتمديدتها والحفاظ عليها دون أن يتحول ذلك إلى تواصل طقوسي كاللقاء وجها لوجه، يأخذ مساره ضمن فضاء فيزيائي. إن الفرد ضمن هذا الحيز التواصلية الافتراضي يتحكم في تقديم ذاته بطريقة مغايرة من لو أن التفاعل كان مباشرا وضمن فضاء فيزيائي.

وقد أنتج ارتباط الفرد بالحاسوب حسب الدكتور **علي رحومة** ذاتا جديدة أسماها بـ "الإنسوب" أي "الإنسان الحاسوب" الذي يشير إلى مركب مبرمج آليا في حالة من التواري والتماهي والتمظهر، في بنيته الخاصة من الأرقام الثنائية⁽³⁹⁾. هذا التماهي يساهم بشكل أو بآخر في انحصار التمثل التقليدي لحضور الإنسان لحساب الحضور الجديد وهو ما يؤرخ لمرحلة جديدة قد تكون ثورية تماما. فتاريخ الإنسان لم يدخل قط في تركيبته الاجتماعية، عنصر من خارج المجتمع البشري والمركب الطبيعي للإنسان الفرد. أما الآن في زمن مجتمع الانترنت، فالمركب الإنساني لم يعد فردا علما، بل فرد مركب. الإنسان/ الآلة⁽⁴⁰⁾. وهو ما يثير تساؤلات جادة وعلى مستوى كبير من الأهمية حول الهوية الجديدة التي تتطرح أمامنا في مشهد غرائبي غير مسبوق.

إنها **الهوية الافتراضية**؛ هوية متحركة "دينامكية" يكونها الفرد البشري في مجتمع الانترنت. وهي في هذا المجتمع تتسم بلامح رئيسية أو بالأحرى مقومات مظهرية لوجودها في فضاء السايبر:

³⁸- عادل بن حاج رحومة، "تنشئة الهويات الفردية عند الشباب عبر الفضاءات الاتصالية والمعلوماتية، مجلة إضافات، العدد التاسع (شئاء 2010م) ص142.

³⁹- عبد الله البريدي، "الإنسوب إمبريالية التقنية وخضوع الإنسان"، جريدة المجاهد الأسبوعي، ع2617 (من 28 سبتمبر إلى 05 أكتوبر 2010)، ص19.

⁴⁰- علي محمد رحومة، الانترنت والمنظومة التكنو-اجتماعية، مرجع سابق، ص306.

أولاً، لها مطلق الحرية أن تختار وفق التقنيات المتاحة خصائص تمظهرها، كشخصية حوارية عبر قنوات الانترنت بأنواعها. وقد تكون فرد/جماعة. وثانياً، هي شخصية قابلة للتغير والتبدل في أي لحظة بحسب اختيارات الفرد الإنساني نفسه.

وثالثاً، هي أيضاً قابلة للتغير والتبدل حسب اختيارات أطراف أخرى، ربما شخصيات "أنترنتية" أخرى تتقمص هويات غيرها. أو من قبل اختراقات برمجية، أو توظيفات متنوعة لهوية متنقلة لا تستقر على وضع خصائصها⁽⁴¹⁾.

هذا الواقع الجديد جعل البعض يتوقع أن ينتهي زمن التنوع الثقافي، ومن ثم إعادة تشكيل هويات جديدة في ظل ثقافة غربية مهيمنة، هويات رقمية تفرز مزيجاً جديداً من السمات والتفاعلات والتمظهرات الفردية والجماعية في فضاء سايبيري لا حد له ولا قيد عليه. فما تتيحه هذه الشبكات من الدخول بشخصيات افتراضية، تدفع الفرد إلى تقمص ذات أو ذوات مثالية، أو "عالمالية" كما سماها الباحث سعد البازعي، وهي هوية هجين تجمع بين الثقافة المحلية من لغة ودين وموروث ثقافي وشعبي، وثقافة أجنبية بكل مكوناتها⁽⁴²⁾. وهذا ما يهدد في الأخير هوية الفرد الأصلية من خلال انتمائه للمجتمع الأصلي، ما يطرح في مرحلة ثانية تساؤلاً عن مدى شرعية انتمائه لهذا المجتمع (التقليدي).

إن الانتماء إلى هوية "شبحية" سيؤدي حتماً إلى انحسار المخيال ومن ثم الإبداعية وابتكار الصور الذهنية لحساب المعرفة السطحية الهشة والصور

(41)- علي محمد رحومة، المرجع السابق نفسه، ص307.

(42)- عبد الله البريدي، مرجع سابق ص19.

المعلبة والمصطلحات الفارغة من المدلولات ذات القيمة⁽⁴³⁾. كما يؤدي إلى تكسير الطابوهات الاجتماعية والثقافية وإضعاف الحساسية اتجاهها على حسب تعبير المفكر عبد الرحمان عزي. وهو الأمر الذي جعل "جيل الانترنت" يظهر كجيل ثنائي الهوية؛ فهو من ناحية هشّ وغير راشد، ويحتاج دائما إلى الأخذ بيده في مجاهل التكنولوجيا الحديثة لتأسيس علاقة "سوية" بها، ومن ناحية أخرى فهو جيل فضولي، ومعتد على ذاته، وليس امتثاليا وذكي، ويملك القدرة على التكيف، ويميل إلى تثمين ذاته، إضافة إلى كون صاحب رؤية شاملة في توجيه نفسه⁽⁴⁴⁾.

يمكن تلخيص ما سبق في أن الإعلام الجديد يتيح للأفراد مساحات واسعة لتشكيل هويات افتراضية حسب السياق الافتراضي الذي يتواجدون فيه، وقد يتلاعبون بسماتهم الأصلية وبتمثلاتهم لهوياتهم لإنتاج وتقمص ذات متعددة، تشبع رغباتهم وحاجاتهم النفسية والثقافية، ولكنها قد تؤدي إلى قلق الانتماء إلى جماعة ثابتة المعالم وواضحة المرجعيات. وهناك يكمن التأثير السلبي في تشييت الذات ودفعها إلى اللايقين واللاتنماء.

رابعاً/ الإعلام الجديد كداعم للهويات المحلية:

هل يدعونا هذا التوجه إلى التشاؤم فيما يخص مستقبل التنوع الثقافي وحماية الهويات المحلية من الاندثار؟ رغم وجود الكثير ممن يؤمنون بهذا المصير، إلا أن هناك فرقة أخرى من الباحثين تجيب بالنفي على هذا السؤال، لأن الانترنت والإعلام الجديد قد منح فرصة كبيرة للأصوات الضعيفة بالبروز والنضال في سبيل التعبير عن الذات وإيصال صوتها واهتماماتها كما

(43)- المرجع نفسه، ص19.

(44)- الصادق رابح، "الهوية الرقمية للشباب: بين التمثلات الاجتماعية، والتمثل الذاتي"، مجلة إضافات، العدد 19، (صيف 2012)، ص97.

لم يكن متاحا لها من قبل قط. وإن كانت الإشكاليات التي ارتبطت بالهوية مثل (الهوية متعددة الأبعاد، الأقلية والأغلبية، الهوية بين الانغلاق والانفتاح، الهوية والعولمة،...) ستستمر من خلال الفضاءات الجديدة التي تتيحها الانترنت والإعلام الجديد، وقد تكون بوتيرة أسرع وبحدة أكبر، ولكنها تبقى إشكاليات قديمة قدم الإنسان، وهي جزء لا يتجزأ من وجوده واستمراره في هذه الحياة.

أما الإعلام الجديد فقد عمل على توسيع فضاء المرجعيات الثقافية، وربط أفراد وجماعات ما كان لهم أن يلتقوا ويتحاوروا ويتفاعلوا لولا وجوده. إنها أداة فاعلة في تجزئة وتقسيم الأفراد إلى جماعات افتراضية، نلتقي حول اهتمامات مشتركة، بالرغم من أنها لا تملك القدرة على بناء وعي جماعي⁽⁴⁵⁾. وقد أشار دوغلاس شيلر في كتابه (New community Networks) إلى دور شبكات التواصل الاجتماعي على الانترنت في تشكيل جماعات تناضل لإعلاء صوت هوياتها المحلية، وذلك من خلال الآليات التالية:⁽⁴⁶⁾

- الربط بين أعضاء جماعة معينة، وتشجيع النقاش، وحل المشاكل المشتركة.

- تنظيم المعلومات ووسائل الاتصال ذات الأهمية الخاصة لحاجات الجماعات، ولمواجهة مشاكلها بناء على جدول زمني

- مشاركة قاعدة عريضة من المواطنين، بمن فيهم نشطاء المجتمع، والقادة، والجهات الراعية لأنشطتهم، ومقدمو الخدمات، وذلك بشكل مستمر.

- العمل على إدماج جميع أعضاء الجماعة.
- توفير الخدمات الأساسية.

⁽⁴⁵⁾- الصادق رابح، فضاءات رقمية، مرجع سابق، ص29.

⁽⁴⁶⁾- محمد بنهلال، مرجع سابق، ص17.

- دعم الثقافة المحلية.

واستمرارا لهذا الرأي، يمكن الاستشهاد بنتائج دراسة اثنوغرافية أنجزتها مؤخرًا⁽⁴⁷⁾ على عينة من مستخدمي الفاييبوك الأمازيغ، توصلت من خلالها إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

- أقر المبحوثون أن استخدامهم للشبكات الاجتماعية، واحتكاكهم بالهويات الأخرى جعلهم يحسّون أكثر بتميز هويتهم، وساهم ذلك في تولد شعور أكبر بمسؤولية الحفاظ عليها وعدم الذوبان في الآخر. وهم في ذلك لا يتوانون عن التعبير عن ذواتهم. ولا يعترتهم الشعور بالنقص أو الخجل عندما يفعلون ذلك، بل إن الشعور بالفخر والاعتزاز بالانتماء إلى الهوية الأمازيغية هو الطاغى في محادثاتهم وتواصلهم مع الآخرين. لذلك فهم لا يخفون انتماءهم ولا يجدون مشكلا أو مانعا من التصريح بها من خلال محادثاتهم التي يجرونها مع الآخرين.

- وتتعدد طرق التعبير عن هويتهم ما بين اختيار الأسماء الأمازيغية، إلى الصور الرمزية (الراية الأمازيغية، شخصيات أمازيغية تاريخية...)، إلى استخدام اللغة الأمازيغية،،،

- إن ما أتاحه الفاييبوك من إمكانية لإنشاء مجموعات خاصة، لهو في حقيقة الأمر خدمة غير مسبوقة للجماعات المتشابهة للالتقاء ببعضها البعض ومناقشة القضايا التي تهمها دون سواها. ولا شك أن الأمازيغ قد وجدوا في ذلك متنفسا لهم، وفرصة غير مسبوقة للالتقاء افتراضيا، لذلك فقد سارعوا إلى إنشاء العديد من المجموعات طرحوا من خلال مواضيع مهمة تتعلق أساسا: بالتاريخ الأمازيغي وبطولات الشخصيات الأمازيغية المشهورة، كما أن

⁽⁴⁷⁾- باديس لونيس، الهوية الأمازيغية في ظل الإعلام الجديد، الملتقى الجهوي الأول حول الأمازيغية، جامعة باتنة، 10 فيفري 2014م.

موضوع اللغة الأمازيغية يعتبر من أهم ما يطرح للنقاش، بالإضافة إلى العلاقة مع العرب، وكذا التعريف بتقاليد مختلف المناطق الأمازيغية، الخاصة باللباس والأكلات والمناسبات، مستخدمين في ذلك الكلمة والصورة الفوتوغرافية والفيديوهات.

- لقد شهد رأس السنة الأمازيغية أو ما يعرف بـ "ينار" احتفاء غير مسبوق عبر الشبكات الاجتماعية المختلفة والفايسبوك خاصة، وقد شارك الأمازيغ من مختلف المناطق والدول في مناقشة مختلف الخلفيات التاريخية والثقافية والدينية للتقويم الأمازيغي، ولم يتوانوا عن عرض تقاليدهم وكيفية إحيائهم لهذه المناسبة من أكلات وطقوس وألعاب خاصة. وتزينت صفحاتهم وبروفائلاتهم بصور تترجم احتفالاتهم تلك.

مما سبق يمكننا القول أن الإعلام الجديد وشبكات التواصل الاجتماعي خاصة قد أعطت فرصة للهوية الأمازيغية لإعلاء صوتها أكثر، وإن كان الأمر ليس بالبساطة والمثالية التي قد نتخيلها فيما يخص هذا الدور المتمثل في منح الفرص للهويات المحلية لإعلاء أصواتها. ولكن في المقابل فإن الافتراض الذي يرى أن الإعلام الجديد والشبكات الاجتماعية تصنع هوية رقمية ذات بعد عالمي ما يهدد الهويات المحلية بالانقراض ليس صحيحا دائما.

الخاتمة

لا يمكننا أن ننكر بان لكل من الحتميات الثلاث؛ التكنولوجية، الاجتماعية والتقنية، (رغم قول الكثيرين بنهاية الحتميات)، وجهة نظرها المهمة والمعقولة في تفسير العلاقة بين الهوية وتكنولوجيا الاتصال الحديثة (الإعلام الجديد في هذه الحالة). فالحتمية التكنولوجية لازالت تستهوي الكثير من الباحثين لتطبيق افتراضاتها على المستجدات التي تشهدها تكنولوجيات الاتصال الحديثة، كما

أن للحتمية الاجتماعية أنصارها الذين لا يتوانون في الدفاع عن أولوية المتغير الثقافي والاجتماعي.

ولكننا إذا تأملنا الحتمية القيمية فإننا نلاحظ توجهها التوفيقى بين التوجهين الآخرين ومحاولتها التقريب بينهما؛ فبعد الرحمن عزي لم ينفى دور تكنولوجيا الاتصال الحديثة في التغييرات الكبيرة التي أحدثتها على الأنماط الاجتماعية والثقافية ومن ثمة على الهويات، ولكنه في المقابل حذر من تحول الثقافة إلى تقنية ورأى بضرورة الإشراف والتوجيه القيمي للثقافة، هذا مع الإشارة إلى أن التكنولوجيا عموما هي مظهر من مظاهر الثقافة وتجلي من تجلياتها.

واستنادا إلى ما سبق يمكننا أن نستنتج في الأخير أن الإعلام الجديد الذي تتمثل أهم تجلياته في المدونات الإلكترونية وشبكات التواصل الاجتماعي ومواقع نشر الصور والفيديوهات ومواقع الويكي، قد أحدثت نقلة نوعية في أساليب حياة الأفراد وطرق تفكيرهم وتواصلهم، وهو ما أثر في تماثلهم لذواتهم وهوياتهم. وإن كان البعض يتخوف من إنتاج هوية الكترونية افتراضية "شبحية" مفرغة من الانتماء والاستناد إلى قيم واضحة، إلا أنه لا يمكننا نكران أو تجاهل التأثيرات الايجابية لتطبيقات الإعلام الجديد اتجاه الهويات المحلية إذ يساهم هذا الأخير في إعطاء فرصة للمنتمين إلى هوية واحدة للالتقاء ببعضهم البعض ومناقشة مواضيعهم المشتركة بكثير من الحرية ما يؤدي إلى تشكيل ضمير ووعي جمعي لا يفتأ يكبر يوما بعد يوم بكثافة لا يضاهيها ما يمكن أن يحدث في الواقع الحقيقي.

المراجع

الكتب:

- 1- أرمان وميشال ماتلار، **تاريخ نظريات الاتصال**، ترجمة نصرالدين لعياضي والصادق رابح، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005) ص196.
- 2- إيمانويل رينو، "التصورات الأوروبية للهوية"، ضمن كتاب: **الهوية**، (سلسلة مفاهيم عالمية، المركز الثقافي العربي، 2005م).
- 3- نصير بوعلي، **الإعلام والقيم**، (عين مليلة: دار الهدى، 2005).
- 4- عباس مصطفى صادق، **الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات**، ط1، (الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2008م).
- 5- علي محمد رحومة، **الانترنت والمنظومة التكنو-اجتماعية**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005).
- 6- علي محمد رحومة، **علم الاجتماع الآلي**، (سلسلة عالم المعرفة، ع347، 2008)، ص66.
- 7- عماد حسن مكاي، ليلي حسين السيد، **الاتصال ونظرياته المعاصرة**، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2003).
- 8- عبد الرحمن عزي، **دراسات في نظرية الاتصال؛ نحو فكر إعلامي متميز**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2003).
- 9- عبد الرحمن عزي، **حفريات في الفكر الإعلامي القيمي**، (تونس: الدار المتوسطية للنشر، 2011).
- عبد الرحمن عزي، **قيم وسلوكيات من وحي أسوار أكاديمية**، (الجزائر: دار الورسم، 2014م)، ص-ص45-47.
- 10- فيليب سيب، **تأثير الجزيرة (كيف يعيد الإعلام العالمي الجديد تشكيل السياسة الدولية)**، ترجمة عز الدين عبد المولى، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، الدوحة: ومركز الجزيرة للدراسات، 2011م).

11- رشا عبد الله، "مواقع الشبكات الاجتماعية الالكترونية بين الخصوصية والحرية"، ضمن كتاب الثقافة العربية في ظل وسائط الاتصال الحديثة، تأليف مجموعة من الباحثين، كتاب العربي، ع81، (يوليو 2010م).

12- الصادق رايح، فضاءات رقمية (قراءات في المفاهيم والمقاربات والرهانات)، (بيروت: دار النهضة العربية، 2013م) ص43.

المجلات:

13- أمينة نبيح، المدونات الالكترونية العربية المكتوبة بين التعبير الحر والصحافة البديلة، مجلة إذاعة وتلفزيون الخليج، العدد 85، (ماي 2011م).

14- إبراهيم بعزيز، "دور وسائل الاتصال الجديدة في إحداث التغيير السياسي في البلدان العربية"، مجلة المستقبل العربي، العدد 390، (أوت 2011م).

15- محمد بنهلال، "الإعلام الجديد ورهان تطوير الممارسة السياسية: تحليل لأهم النظريات والاتجاهات العالمية والعربية"، مجلة المستقبل العربي مجلة المستقبل العربي ع (396)، (فيفري 2012).

16- مانويل اونيل، "ويكيبيديا او نهاية زمن الخبرة؟"، النسخة العربية من مجلة (Le monde diplomatique)، (أفريل 2009).

17- عادل بن الحاج رحومة، "تنشئة الهويات الفردية عند الشباب عبر الفضاءات الاتصالية والمعلوماتية"، مجلة إضافات، ع9، (شتاء 2010م).

18- عباس مصطفى صادق، "الشبكات الاجتماعية... هل هي بديل للتواصل التقليدي؟"، مجلة إذاعة وتلفزيون الخليج، ع85، (ماي 2011م).

19- عصام منصور، "المدونات الإلكترونية مصدر جديد للمعلومات"، مجلة دراسات المعلومات، ع05، (ماي 2009م).

20- العربي فرحاتي، "قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثره على الهوية والثقافة"، مجلة الحكمة، العدد5، (مارس 2010م).

21- الصادق رايح، "الهوية الرقمية للشباب: بين التمثلات الاجتماعية، والتمثل الذاتي"، مجلة إضافات، العدد 19، (صيف 2012).

مواقع الانترنت:

22- الصادق الجمامي، الإعلام الجديد والإعلام الكلاسيكي بين الاتصال والانفصال (التلفزيون العمومي نموذجا)، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، (5/5 / 2012):

- www.arabmediastudies.net

23- جمال الزرن، صحافة المواطن، المتلقي عندما يصبح مرسلا، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، (5/5 / 2012):

- www.arabmediastudies.net

24- عماد بن يحي، احصائيات عن الشبكات الاجتماعية والإنترنت في 2014، متاح على الرابط:

<http://www.tech-wd.com/wd/2014/01/14/احصائيات-الشبكات-الاجتماعية-و-الانتر>

25- محمد حبش، عشرة رواد أعمال غيروا الانترنت، متاح على الرابط:

<http://www.tech-wd.com/wd/2011/11/07/ten-entrepreneurs-changed-the-internet>.

مراجع أخرى:

26- باديس لونيس، الهوية الأمازيغية في ظل الإعلام الجديد، الملتقى الجهوي الأول حول الأمازيغية، جامعة باتنة، 10 فيفري 2014م.

27- رضا عبد الواحد أمين، استخدامات الشباب الجامعي لموقع يوتيوب على شبكة الانترنت، المؤتمر الدولي حول الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، جامعة البحرين، 07-09 افريل 2009، ص 512.

28- علاء عبد المجيد الشامي، محددات تشكيل الهوية الدينية في المجتمع المصري، مؤتمر "الفضائيات العربية والهوية الوطنية"، جامعة الشارقة، (11-2007، 12م).

29- سمير دحماني، أثر استخدام شبكة الانترنت على الهوية لدى الشباب في ظل العولمة الإعلامية، مذكرة ماجستير غير منشورة، (جامعة الجزائر: قسم عوم الإعلام والاتصال، 2008/2009م).

30- نومار مريم نريمان، استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة باتنة، 2012م، ص 88.

31- عبد الله البريدي، "الإنسوب إمبريالية التقنية وخضوع الإنسان"، جريدة المجاهد الاسبوعي، ع2617 (من 28 سبتمبر إلى 05 أكتوبر 2010).